تفسير

سورة يوسف

كاملة

رامي حنفي محمود

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلسلة كيف نفهم القرآن؟١

(تفسير سورة يوسف كاملة)

١. الربع الأول من سورة يوسف

الآية ١، والآية ٢: ﴿الر﴾ سَبَقَ الكلام عن الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: ألِف لام را)، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني: هذه هي آياتُ الكتاب الواضح في مَعانيه وهُداه وحلاله وحرامه، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ - أيها العَرَب - ﴿تَعْقِلُونَ﴾ أي تَعقلونَ مَعانيه وتَفهمونها، فتَعملوا بِهَدْيِه.

الآية ٣: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني أصَحّ القصص وأصْدَقه، وأنْفَعَهُ وأجْمَلَه، وذلك ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي بواسطة وَحْيِنا إليك ﴿هَذَا الْقُرْآنَ﴾ - لأنّ هذه القصص تكونُ عن طريق الوحي - ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يعني: وقد كنتَ - قبلَ إنزال القرآن عليك - من الغافلين عن هذه الأخبار، لا تَدري عنها شيئًا.

الآية ٤: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ أي اذكر أيها الرسول لقومك قَوْلَ يوسف لأبيه يعقوب: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ أي في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (فكانت هذه الرؤيا بُشرَى لِمَا وَصَلَ إليه يوسف عليه السلام مِن عُلُوِّ المنزلة في الدنيا والآخرة).

الآية ٥: ﴿قَالَ﴾ يَعقوب لابنه يوسف: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ - وقد كانوا إخوته مِن أبيه، ولَيسوا أشِقَّاء له - ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي فيَحسدوك ويُعادوك، ويَسعوا في إهلاكك، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي عداوته ظاهرة للإنسان.

الآية ٦: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يعني: وكما أراكَ ربك هذه الرؤيا، فكذلك يَصطفيك ويَختارك ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي يُعَلِّمك تفسير ما يَراهُ الناسُ في مَنامهم، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ بالنُبُوَّة والرسالة ﴿كَمَا

---

١ وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير الميَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي" ، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبي بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو التفسير.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمَن يَستحق الاصطفاء والاختيار من عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبير أمور خَلقه.

الآية ٧: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾ أي في قصة يوسف ﴿وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾ أي أدلة تدل على قدرة اللهِ وحِكمته، وفيها عِبَرٌ ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ الذين يَسألون عن أخبارهم، ويَرغبون في مَعرفتها.

الآية ٨، والآية ٩: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي اذكُر حين قال إخوة يوسف فيما بينهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: يعني إنّ يوسف وأخاه الشقيق "بنيامين" ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ (لأنه يُفضّلهما علينا) ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: ونحن جماعة (وكان عددهم تسعة) فكيف يُفَضِّل الاثنين على التسعة؟! ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: يعني إنّ أبانا لَفي خطأٍ واضح، حيثُ فضَّلهما علينا من غير سبب، إذاً فـ ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ يعني: أو ألقوا به في أرضٍ مجهولة بعيدة عن العُمران، وبذلك ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: أي يَخلُص لكم حُبّ أبيكم وإقباله عليكم، ولا يَلتفت عنكم إلى غيركم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ -أي مِنْ بعد قَتْل يوسف أو إبعاده - ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ تائبينَ إلى الله، مُستغفرينَ مِن ذنبكم، (وفي هذا دليل على أنّ إظهار الميل إلى أحد الأبناء بالحب، يُورثُ العداوة بين الإخوة).

الآية ١٠: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ - لأنّ القتل جريمة فظيعة - ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ يعني: ألقوه في جَوف البئر: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أي يَلتقطه بعض المارّة مِن المسافرين فتستريحوا منه، هذا ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: يعني إن كنتم فاعلينَ شيئاً تجاه أخيكم، فهذه هي أفضل الطرق.

الآية ١١، والآية ١٢: ﴿قَالُوا﴾ لأبيهم - بعد اتفاقهم على إبعاد يوسف -: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ - مع أنه أخونا، ونحن نريد له الخير، ونخاف عليه ونَرعاه - ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ أي نَخُصُّهُ بخالص النصيحة؟، ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ - عندما نخرج إلى مَراعِينا - ﴿يَرْتَعْ﴾: أي يَنشط ويفرح، ﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالتسابق معنا، وبغير ذلك من اللعب المباح، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ مِن كل ما تخافُ عليه.

الآية ١٣: ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: أي تُؤلمني مُفارقته إذا ذهبتم به إلى المراعي ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ يعني وأنتم مُنشغلون عنه في مَراعيكم.

الآية ١٤، والآية ١٥: ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي جماعة قوية: ﴿إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ أي لا خيرَ فينا.

♦ فأرْسَلَهُ أبوهم معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ يعني أجمَعوا على إلقائه في جَوف البئر، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي أعْلَمَ اللهُ يوسفَ بطريقٍ خَفِيٍّ سريع: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾: أي سوف تُخبر إخوتك مُستقبَلاً بما فعلوه بك، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أننا أوحينا إليه بذلك (وفي هذا بِشارةٌ له بأنه سيَنجو مِمّا وقع فيه).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لن يَعرفوا - عندما تُعاتبهم - أنك أخوهم، (وهذا إخبارٌ من الله تعالى بما وقع بعد سنين)، والمقصود بذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾.

الآية ١٦، والآية ١٧: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ أي في وقت العِشاء - مِن أول الليل - ﴿يَبْكُونَ﴾ ويُظهِرون الأسف والخوف، فـ ﴿قَالُوا﴾: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي نَتسابق في الجَرْي والرمْي بالسهام، ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ أي عند طعامنا وثيابنا، وما فارقناه إلا وقتًا قليلاً ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ يعني: وما أنت بمُصَدِّقٍ لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي: ولو كنا مَوصوفين بالصدق (وذلك لشدة حُبِّك ليوسف).

الآية ١٨: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي جاؤوا بقميصه مُلَطَّخًا بِدَمٍ غير دَم يوسف، (وقد قيل إنهم بعد أنْ ألقوه في البئر، ذبحوا حيواناً صغيراً يُشبه الماعز ولَطَّخُوا بِدَمِه قميص يوسف)، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب عليه السلام: ﴿بَلْ﴾ أي: ليس الأمر كما تقولون، ولكنْ ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي زيَّنت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسُوء أمرًا قبيحًا في يوسف، فرأيتموه حَسَنًا وفعلتموه، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فصَبْري صَبْرٌ جميل (لا سَخَطَ فيه، ولا شكوى معه لأحدٍ من الخَلق) ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: وأستعينُ باللهِ لِيُصَبِّرَني على تَحَمُّل هذا الوصف الكاذب الذي تَحكونه لي.

♦ وإنما فَوَّضَ يعقوب عليه السّلام الأمْرَ إلى اللهِ تعالى، ولم يَسْعَ للكشف عن مَصير يوسف، لأنه عَلِمَ بصعوبة ذلك لِكِبَر سِنِّه، ولأنه لم يكن له أحد يَستعين به على أبنائه، وقد صاروا هم الساعينَ في البُعد بينه وبين يوسف، فيَئِسَ مِن ذلك، وفَضَّلَ الصبر الجميل.

الآية ١٩، والآية ٢٠، والآية ٢١: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي جاءت جماعة من المسافرين (وكانوا ذاهبين إلى مصر)، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾: أي أرسلوا مَن يأتي إليهم ببعض الماء، ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ يعني: فلمَّا أرسلَ الوارد دَلْوَهُ في البئر: تَعَلَّقَ بها يوسف، فـ ﴿قَالَ﴾ الوارد: ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ يعني: يا بُشرايَ هذا غلامٌ عظيمُ القيمة، ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ يعني: إنّ الواردَ وأصحابه قد أخفوا يوسفَ عن بقية المسافرين، حتى لا يُطالبوهم بالاشتراك معهم في ثَمَنه بعد أن يَبيعوه، وأمَّا قوله تعالى: ﴿بِضَاعَةً﴾ يعني إنهم قالوا لهم: (هذه بضاعة، وقد طلب مِنَّا أصحاب الماء أن نوصلها إلى صاحبها بمصر)، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بيوسف.

♦ وقد كان إخوة يوسف يَترددون على البئر ليَعرفوا مَصير أخيهم، فلمَّا رأوه بأيدي الوارد ورِفاقه، قالوا لهم: (هذا عَبدٌ لنا كثير الهرب، وإن أردتم شراءَهُ بِعْنَاه لكم)، فقالوا لهم: (ذاكَ الذي نريد)، فباعوه لهم بثَمَنٍ قليل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي باعه إخوته لهؤلاء المسافرين بثَمَنٍ قليل: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾، ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي كان إخوته زاهدينَ فيه، راغبينَ في التخلص منه، لأنهم لا يَعلمون مَنزلته عند اللهِ تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى "مصر" اشتراه منهم أحد وزرائها، ﴿وَقَالَ﴾ هذا الوزير ﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ يعني أحسِني معاملته، وأكرِمي إقامته عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾: أي لعلنا نستفيدُ مِن خِدمته ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: يعني أو نُقيمه عندنا مقام الولد (وقد قال ذلك لأنه لم يكن له ولد).

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: وكما أنجينا يوسف من البئر، وكما يَسَّرْنا له أن يَشتريه عزيز "مصر" – وهو الوزير – وجعلناهُ يَعْطِف عليه، فكذلك جعلنا هذا مُقدِّمَةً لتمكينه في أرض "مصر" مِن هذا الطريق (ليَكون على خزائنها فيما بعد، يَحكمها بالعدل والرحمة)، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تفسير الرؤى، فيَعرف ما سيَقع منها مُستقبَلاً، (ولعل الله تعالى رَبَطَ عِلم التأويل ببيت العزيز، لأنّ يوسف عليه السلام سيَبقى في هذا المكان مُتَفرغاً للتفكر والتعمق في هذا العِلم (الذي وهبه اللهُ له)، ليَزداد بذلك عِلماً، مِمّا سيَكونُ سبباً لتمكينه في الأرض عندما يُفَسِّر رؤيا المِلك)، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ (فإذا أرادَ سبحانه شيئاً، قال له كُن فيكون، ولا أحد يَستطيع أن يَمنع حدوث ما يُريده اللهُ تعالى)، فإنّ الإنسانَ لو تأمَّلَ الأمرَ لَتَعَجَّب: (كيف لِغُلامٍ صغير مُلقَى في بئر، أن يَجعله اللهُ فيما بعد على خزائن الأرض؟!)، ولكنّ اللهَ يَفعل ما يريد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ الأمرَ كله بيد اللهِ.

♦ وفي هذا تصبير للرسول ﷺ على ما يَجد مِن أذَى أقربائه له، إذ يوسف عليه السلام قد أصابه الأذى مِن أخوته الذين هم أقرب الناس إليه بعد والديه.

الآية ٢٢: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني لما وَصَلَ يوسف إلى مُنتهى قوته في شبابه: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي عَلَّمناهُ كيف يَحكم بين الناس، ﴿وَعِلْمًا﴾ وهو الفقه في دين إبراهيم عليه السلام (وهو الإسلام)، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: وكما أعطينا يوسف هذا العطاء (جزاءً له على إحسانه)، فكذلك نُعطي المحسنين عِلماً نافعاً جزاءً لهم على إحسانهم، كما قال تعالى: (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) أي عِلماً ونوراً تُفرِّقون بِهِ بين الحق والباطل والحلال والحرام والسُنّة والبدعة.

الآية ٢٣: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي حاولتْ امرأة العزيز فتنة يوسف (لِحُبِّها الشديد له وحُسن بَهائه)، ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ - يعني إنها دَعَتهُ إلى فاحشة الزنا والعِياذُ بالله –، فـ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي أعتصم باللهِ تعالى مِن فِعل الفاحشة، وأستجيرُ به مِن خيانة سيدي ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: يعني إنه سيدي الذي أحْسَنَ إقامتي في بيته، فلا أخونه في أهله، (وفي نفس الوقت فإنَّ سيده الحق (اللهُ جَلَّ جلاله) قد أكرمه بما سَخّر له من الأمور، فكيف يَخونه فيما حَرَّمَ عليه؟)، (واعلم أنهم كانوا يقولون للسيد المالك لفظ: (الرب)، كما نقول: رب البيت﴾، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: يعني إنّ مَن تجاوز حدَّهُ لا يُفلِحُ أبداً.

الآية ٢٤: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ أي مالت نفسها لفِعل الفاحشة، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي حدَّثتْ يوسفَ نفسُه للاستجابة (لأنه بَشَرٌ وليس مَلَكاً)، واعلم أنّ الهَمّ هو خَطرات النفس وليس العمل، والدليل على ذلك قول اللهِ تعالى في الحديث القدسي – كما في الصحيحين –: (مَن هَمَّ بحَسنةٍ فلم يَعملها، كُتِبَتْ له حَسنة).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: يعني لولا أنه رأى آية من آيات ربه تنهاه عمَّا حَدَّثَتْهُ به نفسه، (وذلك لأنه اعتصم بربه - في بداية الأمر - قائلاً: (مَعاذَ الله)، فنَجَّاه الله)، ﴿كَذَلِكَ﴾ يعني: إنما أريناه ذلك البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ وهو كل ما يَسُوء الإنسان، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ وهي الوقوع في جريمة الزنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ أي المختارينَ للرسالة، الذين استخلصناهم لطاعتنا ومَحبتنا، فلا نَرضى لهم أن يَتلوثوا بالذنوب والمعاصي، (واعلم أنّ ذلك يَتضمن أيضاً أنّ يوسف عليه السلام كان يُخلِص عمله لله تعالى، فلذلك خَلَّصَهُ اللهُ من السُوء والفحشاء).

♦ وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ أي أرادت أن تضربه عندما امتنع، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ ليُدافع عن نفسه ويَضربها، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أي لولا أنّ اللهَ أَلْهَمَهُ أنّ الخير في عدم ضَرْبها، ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ وهو ضَرْبها، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ وهي الزنا.

الآية ٢٥: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ يعني أسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعتْ ورائه تحاول الإمساك به، ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ أي جَذبتْ قميصه مِن خلفه - لتمنعه عن الخروج - فقطعتْ القميص.

♦ وفتح يوسف الباب ليَهرب منها، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ أي وجدا زوجها عند الباب، (وقد كانوا يُطلِقون على الزوج لفظ (السيد) لأنه كانَ يَملك المرأة)، فـ ﴿قَالَتْ﴾ لزوجها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ - أي الفاحشة - ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني أو يُعَذَّب عذاباً شديداً.

الآية ٢٦، والآية ٢٧: ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾: يعني هي التي طلبتْ مِنِّي ذلك.

♦ والظاهر أنّ العزيز كان معه رجل من أهل امرأته (أو أنه استدعاه ليَحكم بينهما)، قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾: يعني إن كان قميصه قُطِعَ من الأمام: ﴿فَصَدَقَتْ﴾ في اتِّهامها له ﴿وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما دافَعَ به عن نفسه، ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾: يعني إن كان قميصه قُطِعَ من الخلف :﴿فَكَذَبَتْ﴾ في قولها ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

الآية ٢٨، والآية ٢٩: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾: يعني عندما رأى الزوجُ قميصَ يوسف قد قُطِعَ مِن خلفه: عَلِمَ براءة يوسف، و﴿قَالَ﴾ لزوجته: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾: يعني إنّ هذا الكذب الذي اتَّهمتِ به هذا الشاب هو مِن جُملة مَكْرِكُنَّ - أيتها النساء - ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ثم قال ليوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي اترك ذِكْرَ ما كان منها فلا تَذكره لأحد، ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: أي اطلبي - أيتها المرأة - مِن زوجك العفو عن ذنبك؛ حتى لا يُؤاخِذَكِ به ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ فيما فَعَلتي، وفي افترائك على يوسف.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. الربع الثاني من سورة يوسف

الآية ٣٠: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ - بعد أن وصل إليهنَّ خبر امرأة العزيز ويوسف – فتحدثنَ به، وقُلنَ: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي تحاول فِتنة خادمها، إنه ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: أي قد وصل حُبّها لَهُ إلى شَغَافِ قلبها (أي غلافه)، ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا﴾ - بهذا الفعل - ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في خطأ واضح، إذ كيف تُحِبُّ عبداً لها، على الرغم مِن شَرَفِها وعُلُوّ مَكانتها؟!

الآية ٣١: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: يعني عندما بَلَغَ امرأةَ العزيز ذمُّ هؤلاء النسوة لها: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ تدعوهنّ لزيارتها ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾: يعني أعَدَّتْ لهنّ ما يَتَّكِئنَ عليه من الوسائد، وما يأكُلْنَهُ من الطعام ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ (لأنها أعطتهنّ طعاماً يَحتاج إلى تقطيع)، ﴿وَقَالَتِ﴾ ليوسف: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أي أعظَمْنَهُ في نفوسهنّ، وشَغَلَهُنّ حُسنه وجماله ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أي جَرَحْنَ أيديهنّ وهُنَّ يُقَطِّعنَ الطعام (بسبب الدهشة والذهول الذي أصابهنّ)، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً للهِ تعالى عن العَجز بأنْ يَخلق مِثل هذا الجمال، ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ لأنّ جماله غير مَعهود في البشر، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ما هذا إلا مَلَكٌ كريم من الملائكة، (وظاهر هذه الجملة أنّ المِصريين كانوا يَعتقدون حِينئذٍ في وجود الملائكة).

♦ وقد قال بعض المفسرين في وَصْف اللهِ تعالى لكلامهنّ بالمكر: أنَّهُنَّ أرَدْنَ بإنكارهنّ على امرأة العزيز أن يَصل قولهنّ إليها، فيكون ذلك سبباً في أن تدعوهنَّ لرؤية جمال يوسف عليه السّلام، وهذا هو ما فعلتْه.

الآية ٣٢: ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز للنسوة: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾: أي فهذا هو الفتى الذي لُمتُنَّني في الافتتان به، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي حاولتُ فِتنته ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾: أي امتنع (وهذه شهادةٌ منها ليوسف عليه السلام، في صِدق اعتصامه باللهِ تعالى)، ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ﴾ به مُستقبَلاً: ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ﴿وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أي الذليلين المهانين.

الآية ٣٣: ﴿قَالَ﴾ يوسف عليه السلام – مُستعيذاً باللهِ مِن شَرِّهِنَّ ومَكرِهِنَّ -: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من الوقوع في الفاحشة، ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ يعني: إنْ لم تَصرف عني مَكرهنّ أَمِلْ إليهنّ، (فإنني ضعيفٌ عاجز إن لم تَدفع عني السُوء)، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الذين يَرتكبون الذنوبَ لِجَهلهم بقدرة اللهِ تعالى وعَظَمته واطِّلاعِهِ عليهم، (فالجاهلُ حقاً هو الذي يُفَضِّلُ لَذّة رخيصة عاجلة، على لَذّات مُتتابعات وشهوات مُتنوعات في جنات النعيم).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية ٣٤: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ (لأنّ امرأة العزيز ظَلَّت تُحاولُ فِتنته وهو يَمتنع، حتى يَئِسَتْ مِن ذلك، وصَرَفَ اللهُ عنه كَيدها) ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعاء يوسف، ودعاء كل مَن دَعاه، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحاجة يوسف إليه، ونِيَّته الصادقة في الاعتصام به من المعاصي.

الآية ٣٥: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ﴾ أي ظَهَرَ للعزيز وأصحابه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ أي مِن بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف وعِفَّته: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾: يعني إنهم عَزَموا على أن يَسجنوه فترة من الزمن، حتى يَنسى الناس الحادثة، ولا يَبقى لها ذِكرٌ بينهم (وذلك مَنعًا للفضيحة).

الآية ٣٦: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي خادمان (كانا يَخدمان المِلك)، وقد حُبِسُوا بسبب تهمةٍ وُجِّهَتْ إليهما، ف ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾: يعني إنني رأيتُ في المنام أني أعصر عنبًا ليَكونَ خَمرًا، ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾: ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾: يعني إنني رأيتُ في المنام أني ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾، ثم قالا ليوسف عليه السلام: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: أي أخبِرنا بتفسير ما رأيناه، ف ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يُحسنون مُعاملة الناس.

الآية ٣٧، والآية ٣٨: ﴿قَالَ﴾ لهما يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ يعني إلاَّ أخبرتُكما بخَبره (أو بِوَصْفِهِ) ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، (ونلاحظ أنه لم يُفَسِّر لهما رؤيتهما إلا بعد أن أثبتَ لهما كفائته أولاً، وذلك حتى يَثقا فيه، فبالتالي يُصَدِّقا كلامه عندما يُحَدِّثهما عن التوحيد).

﴿ذَلِكُمَا﴾ أي التفسير الذي سأقوله لكما هو ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾، وليس مِن عند نفسي (وذلك حتى يَربط قلوبهما باللهِ تعالى وليس بالبشر)، ثم قال لهما: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ أي ابتعدتُ عن دين قومٍ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إذ كانوا مُشركينَ يَعبدونَ مع اللهِ غيره، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ لا يُؤمنونَ ببَعثٍ ولا حساب، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾: أي اتَّبعتُ دين آبائي: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فعَبَدْنا اللهَ وحده، و﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في عبادته.

♦ واعلم أنه يُستفاد من هذه الجملة: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، أنّ الإنسان يَجب أن يَترفع عن فِعل الشِرك والمعاصي، فيقول: (ما كان لنا أن نَعصي اللهَ تعالى وهو مُطَّلِعٌ علينا)، وكذلك يُرَبِّي أولاده على ذلك، فيقول لهم: (لَسْنا نحنُ الذين نَفعل الخطأ، مِن الممكن أن يَفعله غيرنا، أمّا نحن فلا يُمكن أن نَفعله أبداً)، فبهذا يَنشأ الأولاد في بيئةٍ تَكره المعاصي وتحتقرها، فإذا راودَتْ أحدهم نفسه على فِعل شيءٍ خطأ، قال لها: (إنّ ديني وأخلاقي لا يَسمحان لي أن أفعل ذلك).

﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي ذلك التوحيد – وهو إفراد اللهِ وحده بالعبادة – هو مِمّا تَفَضَّلَ اللهُ به ﴿عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ إذ أرسلَ اللهُ إليهم الرسل لهدايتهم، ولكنهم لم يَشكروهُ على نعمته، ورفضوا اتِّباع الرُسُل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية ٣٩، والآية ٤٠: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾: يعني يا صاحبيَّ في السجن: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾: يعني هل عِبادةُ آلهةٍ مخلوقة، مُتفرقة هنا وهناك (هذا صنم وهذا كوكب، هذا إنسان وهذا حيوان، هذا شَكله كذا وهذا صِفَته كذا) هل هذا ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ في ذاته وصفاته، ﴿الْقَهَّارُ﴾ لجميع مخلوقاته؟ (إذ الكُل خَلقه وعَبيده، وهم تحت قَهْره وسلطانه، لا يَتحركون إلا بمشيئته وإرادته).

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً﴾ لا مَعاني لها (وهي الأصنام) التي ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ آلهةً ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ جَهلاً منكم وضَلالاً، (إذ إطلاقكم لفظ (إله) على صنم - أو على صورة مَرسومة لكوكب - لا يَجعلها آلهة)، و﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي ما أنزل اللهُ حُجَّة بشأنها تدل على أنها تستحق العبادة، أو أنها تقربكم إلى ربكم كما تزعمون، (فهي مصنوعة بأيديكم لا تَسمع ولا تُبصِر، ولا تنفع ولا تضر)، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: يعني ما الحُكم الحق إلا للهِ تعالى وحده، وقد ﴿أَمَرَ﴾ أي حَكَمَ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾ هو ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي الدين المستقيم الذي لا عِوَجَ فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (إذ جَهْلهم بمَعرفة ربهم الحق - الذي خَلَقهم ورَزَقهم ويُدَبِّر حياتهم - هو الذي جعلهم يَعبدونَ ما يَصنعون).

الآية ٤١: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾: يعني أمَّا الذي رأى أنه يَعصر العنب، فإنه سيَخرج من السجن ويكون ساقي الخمر للمَلك، ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ الذي رأى أنه يَحمل على رأسه خبزًا: ﴿فَيُصْلَبُ﴾ أي سيُقتَل وهو مَصلوبٌ على خشبة، ثم يُترك ﴿فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي حُكِمَ في الأمر ﴿الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

♦ ويُستفاد من الآيات السابقة أنّ يوسف عليه السلام قد اغتنم فرصة سؤال الفَتيان له، في أن يَدعوهما أولاً إلى اللهِ تعالى، ثم بعد ذلك أجابَ طلبهما، ولهذا يَنبغي للإنسان أن يَغتنم هذه الفرص، بحيثُ إذا جاءه شخصٌ ما، وحكى له مُشكِلة تُواجهه، فعليه أن يسأله أولاً: (هل أنت تصلي أو لا؟)، فإذا كان لا يصلي، فعليه أن يقول له: (إذاً هذا هو سبب المشكلة، لأنك لو كنتَ قريباً من اللهِ تعالى، ما خَذَلَكَ أبداً، فعليك أن تُصلِح حالك مع اللهِ أولاً)، ثم بعد ذلك يُعِينه على حل مشكلته، فبذلك يَستجيب.

♦ وكذلك يُستفاد من قولهما له: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أنه يَنبغي للإنسان أن يكون قدوةً للناس قبل أن يَدعوهم إلى الله.

الآية ٤٢: ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ - وهو الفتى الذي عَلِمَ يوسفُ أنه سيَخرج من السجن -: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أي اذكرني عند سيدك الملك وأخبِره بأنني مَظلوم، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: يعني أنسَى الشيطانُ ذلك الرجل أن يَذكر للمَلك حالَ يوسف، ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: أي مَكَثَ يوسف في السجن عدة سنوات (واعلم أنّ البِضْع: مِن ثَلاث إلى تِسع، وقيل: مِن ثَلاث إلى عَشْر، واللهُ أعلم).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ يعني (إنّ الشيطان أَنسَى يوسفَ عليه السلام ذِكْرَ ربّه تعالى، حيث التفتَ بقلبه إلى الخادم والمَلِك، فعاقبه اللهُ بالبقاء في السجن بضع سنين)، ثم استدَلُّوا بهذا الحديث: (لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قال، ما لَبِثَ في السجن طول ما لَبِث، حيثُ يَبتغي الفرج مِن عند غير الله)، واعلم أنني قد ذكرتُ هذا القول مِن باب الأمانة العلمية فقط، وإلاَّ، فإنّ الحديث المذكور ضعيف جداً، وكذلك فإنّ يوسف عليه السلام لم يَرتكب خطأً، ولكنه أخَذَ بأسباب النجاة، وهذا لا يَتعارض أبداً مع التوكل على اللهِ تعالى، ولا يَتعارض مع أنّ يوسف عليه السلام كان يدعو ربه قبل أن يقول هذه الجملة، ولكنه اغتنم فرصةً قد لا تتكرر، واللهُ أعلم.

الآية ٤٣: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى﴾ أي رأيتُ في منامي ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ أي سَمينات ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ أي يأكلهنّ سبع بقرات نَحيلات هَزيلات (وهذا مِن العَجَب: أنّ الضعيف يأكل القوي)، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ يعني: ورأيتُ سبع سُنبلات خُضر يأكلهنّ سبع سُنبلات يابسات، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: يعني يا أيها السادة والكُبَراء ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾: يعني إن كنتم للرؤيا تُفَسِّرون.

الآية ٤٤: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ يعني إنّ رؤياكَ هذه أحلامٌ مُختلَطة لا تفسيرَ لها، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ أي لا عِلمَ لنا بتفسير الأحلام.

الآية ٤٥، والآية ٤٦: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي الذي نَجا من السجن - مِن صاحبَي يوسف - وعاد إلى خدمة الملك، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: أي تذكَّر بعد مُدّة - وهي البِضع سنين التي مَكَثها يوسف في السجن - فتذكّر أنّ يوسف يُفَسِّر الرؤى، فقال لهم: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾: يعني أنا أخبركم بتفسير هذه الرؤيا، فابعثوني إلى يوسف لآتيكم بتفسيرها.

♦ واعلم أنّ لفظ "أمَّة" يأتي أحياناً بمعنى: (جماعة من الناس)، ويأتي أحياناً بمعنى: (فترة من الزمن)، واعلم أيضاً أنّ كلمة (ادَّكَر) أصلها: (تذكَّر) ولكنْ أُدغِمَت التاء في الذال فصارت: (ادَّكَر).

♦ وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي كثير الصِدق - وقد رأى ذلك منه في السجن - فقال له: ﴿أَفْتِنَا فِي﴾ تفسير رؤيا لـ ﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ أي يأكلهنّ سبع بقرات نَحيلات هَزيلات، ﴿وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ﴾ يعني لِكَي أرجع ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ أي إلى المِلك وأصحابه فأُخبرهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي ليَعلموا تفسير ما سألتُكَ عنه، فيَنتفعوا به ويَعلموا مَكانتك وفضلك.

الآية ٤٧، والآية ٤٨: ﴿قَالَ﴾ له يوسف: تفسير هذه الرؤيا أنكم ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: أي تزرعون سبع سنين مُتتابعة جادِّينَ لِيَكْثُر العطاء، ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ مِن تلك الزروع في كل سَنة: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾: أي اتركوه في سنابله (في الصوامع) ليَتمَّ حِفظه من التسوُّس، حتى تدَّخِروه للسنين القادمة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾: يعني إلا قليلاً مِمّا تأكلونه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الحبوب في كل حَصاد، فهذه لا تَدَّخروها، بل اعطوها للناس حتى يأكلوها (ولتكن قليلة، ليَكثُر ما تَدَّخرونه ويَعظُم نَفعه)، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي سيأتي مِن بعد هذه السنين ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: أي سبع سنين شديدة الجفاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: أي يأكل أهلها كل ما ادَّخرتموه لهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾: يعني إلا قليلاً مما تحفظونه وتَدَّخِرونه ليَكون بذورًا للزراعة فيما بعد (فهذه لا تُعطوها للناس ليأكلوها، بل ادَّخِروها للبَذر والحاجة).

الآية ٤٩، والآية ٥٠: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ أي: ثم سيأتي من بعد سنوات الجفاف: عامٌ يُغيثهما اللهُ فيه بالمطر والسيول وجَرَيان النيل، فيَرفع عنهم تلك الشدة، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يعني: وفي هذا العام يَعصرون الثمار التي يُمكِن عصرها - كالزيتون والعنب وقصب السكر - وذلك مِن كثرة الثمار والحبوب، وزيادتها على أكْلهم.

♦ فبذلك عَبَّر يوسف عليه السلام عن البقرات السَمينات والسُنبلات الخُضر (بأنهنّ سنواتٌ خِصبة)، وعَبَّرَ عن البقرات الهَزيلات والسُنبلات اليابسات (بأنهنّ سنواتُ قحطٍ وجفاف).

♦ فلَمَّا ذهب الرجل إلى الملك: أعجبه تفسير الرؤيا، وعرف ما تدل عليه، فأرادَ إكرام يوسف عليه السلام، لِمَا ظَهَرَ له من العلم والكمال والفضل على أهل مصر (في سنوات المجاعة التي ستأتي عليهم)، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لأعوانه: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾: أي أخرِجوا الرجل الذي فسَّرَ الرؤيا من السجن وأحضِروهُ لي، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ أي فلمَّا جاءه رسولُ الملك يدعوه: ﴿قَالَ﴾ له يوسف: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾: أي ارجع إلى سيدك الملك ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أي اطلب منه أن يَسأل النسوة اللاتي جَرَحْنَ أيديهنّ عن حقيقة أمْرِهِنّ معي، حتى تَظهر الحقيقة للجميع، وتتضح براءتي، ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: يعني إنّ ربي - سبحانه وتعالى - عليمٌ بصَنيعهنّ وأفعالهنّ، لا يَخفى عليه شيءٌ من ذلك.

الآية ٥١، والآية ٥٢، والآية ٥٣: ﴿قَالَ﴾ الملِك للنسوة اللاتي جَرَحْنَ أيديهنّ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: يعني ما شأنكنّ حين حاولتنّ فتنة يوسف؟ هل رأيتنّ منه سُوءاً؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً لله تعالى عن العجز بأن يَخلق بشراً عفيفاً مِثل هذا، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، فعندئذٍ ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي ظهر الحق بعد خَفائه، فـ ﴿أَنَا﴾ التي ﴿رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي حاولتُ فِتنته فامتنع، ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في كل ما قاله، ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك القول الذي قلتُهُ في براءة يوسف والإقرار على نفسي ﴿لِيَعْلَمَ﴾ زوجي ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي لم أخُنه بالكذب عليه، ولم تقع مِنّي الفاحشة أثناء غيابه، واعترفتُ بذلك لإظهار براءة يوسف وبراءتي، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: وليَعلم زوجي أنّ الله ﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: أي لا يُوَفِّق أهل الخيانة لِمَا فيه الرُّشد والصواب، فإنّ كُلَّ خائنٍ لا بد أن يَفضح اللهُ أمْره، فلو كنتُ خائنةً لزوجي، ما هداني اللهُ لِمِثل هذا الموقف المشَرِّف، الذي أصبحتُ بِهِ مُبَرَّأةً طاهرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ ولما كان هذا الكلام فيه نوع من تزكية النفس، فإنها عادت تقول: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من المحاولة والكَيد، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾: يعني إنّ النفس لَكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾: يعني إلا مَن عصمه الله، فأعانه على مُخالفة نفسه وهَواه، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ لذنوب مَن تاب مِن عباده، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، حيث جَعَلَ التوبة نجاةً لهم.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣. الربع الثالث من سورة يوسف

الآية ٥٤: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ (الحاكم لمصر) – عندما عَرف براءة يوسف وأمانته وحُسن خُلقه -: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي أجعله مِن المقرَّبينَ لي، ومِن أهل مَشورتي، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ يعني: فلمَّا جاء يوسف وكَلَّمه الملك: ﴿قَالَ﴾ له الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: يعني إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمَن على كل شيء.

الآية ٥٥: ﴿قَالَ﴾ يوسف للمَلك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: أي اجعلني أتولى شؤون خزائن "مصر" (وهو ما يُعرَف في عصرنا بـ (وزير المالية))، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ أي أمين، ﴿عَلِيمٌ﴾ أي ذو عِلمٍ وبصيرة بما أتولاه، (وقد طلب يوسف عليه السلام ذلك لأنه أراد أن يَنفع العباد، وأن يُقيم العدل بينهم).

الآية ٥٦، والآية ٥٧: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: وكما أنعمنا على يوسف بالنجاة من السجن، فكذلك مَكَّنَّا له في أرض "مصر" ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: أي يَنزل ويَسكن في أيّ مكانٍ شاءه منها (وذلك بعد أن كان في ظلام البئر وضِيق السجن)، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ - وقد قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولهذا قال بعدها: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ﴾ أي ثوابها ونعيمها ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي خيرٌ لهم من متاع الدنيا القليل الزائل.

الآية ٥٨، والآية ٥٩، والآية ٦٠: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلى "مصر" ليُحضِروا منها الطعام – وذلك بعد أن نزل القحط والجفاف في أرضهم – ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ أي على يوسف ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ أي: ولكنهم لم يَعرفوه لطُول المدَّة ولِتَغيُّر هيئته، (وقد أمَرَ يوسف عليه السلام فِتيانه بإكرام إخوته وحُسن ضيافتهم).

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾: يعني عندما أعطاهم الطعام الذي طلبوه – وكانوا قد أخبروه أنّ لهم أخًا مِن أبيهم لم يُحضروه معهم (وهو شقيقه "بنيامين") – فـ ﴿قَالَ﴾ لهم يوسف: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾: أي ائتوني بأخيكم الذي مِن أبيكم، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: يعني ألم تروا أني أوفيتُ لكم الكَيل وأكرمتكم ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾: يعني: وأنا خير المضيفين لكم؟، ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ أي فليس لكم عندي طعامٌ أعطيه لكم بعد ذلك، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: أي لا تأتوا إليَّ مرة أخرى إن لم تأتوني بأخيكم.

الآية ٦١: ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي سنَبذل جهدنا لإقناع أبيه أن يُرسله معنا ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ يعني: ولن نُقصِّر في ذلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية ٦٢: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ أي قال يوسف لعُمّاله: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: أي ضعوا ثَمَن بضاعتهم - وهي الدراهم التي اشتروا بها الطعام مِنَّا - ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: أي ضعوها في أمتعتهم سِرّاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا﴾ أي إذا رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ ليَعلموا أننا لم نأخذ منهم ثَمَن الطعام فيُقدِّروا إكرامنا لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي ليَرجعوا لنا مرة أخرى طمعًا في عطائنا.

♦ واعلم أنّ كلمة (بضاعتهم) - المذكورة في قوله: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ - يُحتمَل أن يكون مَعناها: (ثَمَن بضاعتهم، وهي الدراهم التي اشتروا بها الطعام من يوسف)، كما يُحتمَل أن يكون مَعناها: (البضاعة التي جاءوا بها مِن بلدهم - كالتمر ونحوه - ليأخذوا مكانها سائر الطعام من مصر)، وهو ما كانَ يُعرَف بنظام (المبادَلة)، واللهُ أعلم.

الآية ٦٣: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ﴾، حَكوا له ما كانَ من إكرام العزيز لهم، و﴿قَالُوا﴾ له: ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: يعني إنه لن يُعطينا مُستقبَلاً إلا إذا كان معنا أخونا الذي أخبرناه به، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ - "بنيامين" - ﴿نَكْتَلْ﴾: أي نُحضر لكم طعاماً كثيراً (لأنه سيَزيد لنا الكَيل بسبب وجود "بنيامين")، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: ونحن نَتعهد لك بحفظه.

الآية ٦٤، والآية ٦٥: ﴿قَالَ﴾ لهم أبوهم: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: كيف أستأمنكم على بنيامين وقد استأمنتكم على أخيه يوسف من قبل، والتزمتم بحفظه فلم تَفوا بذلك؟ فلا أثق بوعدكم وحِفظكم، ولكني أثق بحفظ اللهِ تعالى ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾: أي هو سبحانه خير الحافظين ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فأرجو منه أن يَرحمني (بأن يَحفظ يوسف ويَرُدّه عليَّ).

♦ وقد كان هذا الحديث - الذي دارَ بينهم وبين أبيهم - قبل أن يَفتحوا أمتعتهم التي أحضروا بها الطعام من مصر، ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾: يعني عندما فتحوا أَوعِيَتهم: ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: أي وجدوا دَراهمهم التي دفعوها قد رجعتْ إليهم، فـ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ يعني ماذا نطلب أكثر من هذا الكرم؟ ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: أي هذا ثَمَن بضاعتنا رَدَّه العزيز إلينا لننتفع به في معاشنا، فكُن مطمئناً على "بنيامين" وأرسِله معنا نَذهب به إلى مصر ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: أي نُحضِر طعامًا وفيرًا لأهلنا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ - أثناء سفره معنا - مِن كل مكروه ﴿وَنَزْدَادُ﴾ - بوجوده معنا - طعاماً مِقداره: ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ (وهو ما يَستطيع أحد الإبل أن يَحمله)، فإنّ العزيز يَكيل للفرد الواحد: (حِمْل أحد الإبل)، و ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ عليه، لِغِناهُ وسعة مُلكه.

الآية ٦٦: ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب عليه السلام: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي حتى تُعاهِدوني وتحلفوا لي باللهِ أنكم ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ أي احلفوا أنكم سَتَرُدُّونه إليَّ ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: يعني إلا أن تَهلكوا جميعاً، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ يعني: فلمَّا عاهَدوهُ على ما طلب، ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي تكفينا شهادته سبحانه علينا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية ٦٧: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ يعني إذا دخلتم أرض "مصر" فلا تدخلوا كلكم مِن بابٍ واحد، ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ (حتى لا تصيبكم العَين لِكَثرتكم)، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: وإنني - بهذا الذي أوصيكم به - لا أدفع عنكم شيئًا قضاهُ اللهُ عليكم، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: يعني فما الحُكم إلا للهِ وحده، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي عليه اعتمدتُ ووَثَقتُ ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: وعليه وحده فليَعتمد المؤمنون في كل أمورهم، (وإنما أمَرَهم أبوهم أن يأخذوا بالأسباب التي يَحفظهم اللهُ بها - وهي الدخول من أبواب متفرقة - حتى لا يكون مُقَصِّراً في الأخذ بالأسباب، وهذا من تمام التوكل: الأخذ بالأسباب - امتثالاً لأمر اللهِ تعالى - ثم الاعتماد على اللهِ وحده وليس على السبب، لأنّ كل شيءٍ بيد الله).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ وهنا قد يقول قائل: كيف يَصفهم سبحانه بأنهم مُتوكلون، ثم يأمرهم بالتوكل عندما قال: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾؟

والجواب: أنّ هذا كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾، أي استمِرُّوا على إيمانكم واعملوا على زيادته (وذلك بالإكثار من فِعل الطاعات)، فكما أنّ الإيمان يَزيد ويَنقص، فكذلك التوكل يَزيد ويَنقص (بحسب الحالة الإيمانية للشخص)، ويُحتمَل أيضاً أن يكون المعنى: (مَن كان مُتوكلاً - أي معتمداً - على غير اللهِ تعالى: فليتوكل على اللهِ وحده).

الآية ٦٨: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ - أي مِن أبوابٍ متفرقة -: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي ما كان ذلك ليَدفع قضاءَ اللهِ عنهم، ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ أي: ولكنه كانَ خوفاً في نفس يعقوب عليهم مِن أن تصيبهم العين، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: يعني إنّ يعقوب لَصاحب عِلمٍ عظيم - بأمْر دينه - عَلَّمَهُ اللهُ له بالوحي، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يَعلمونَ عواقب الأمور ودقائق الأشياء، وكذلك لا يَعلمونَ ما يَعلمه يعقوب مِن صفات اللهِ تعالى.

♦ واعلم أنه مِن الخطأ الذي يقع فيه البعض، أنه إذا فَعَلَ أحدهم شيئاً، وقال له الناس: (لماذا فعلتَ هذا؟)، فإنه يقول لهم: (حاجةً في نفس يعقوب قضاها)، فهذا خطأ، لأنه ليس يعقوب، ويعقوب عليه السلام نبي، وهذا الشخص ليس نبياً، وإنما الصواب أن يقول: (حاجةً في نفس "فُلان" قضاها) - ويقول اسمه.

الآية ٦٩: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ في مَنزل ضيافته ومعهم شقيقه: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: أي ضَمَّ إليه شقيقه بنيامين، و﴿قَالَ﴾ له سِرّاً: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ (وأمَرَهُ بكِتمان ذلك عن إخوته)، وقال له: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي لا تحزن بما صنعوه بي فيما مَضَى.

الآية ٧٠: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾: يعني عندما حَمَّل يوسف إبِلَهم بالطعام الذي يحتاجونه: ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: أي وَضَعَ الإناء - الذي كان يَكيل به للناس - في متاع بنيامين (دونَ أن يَشعر أحد)، ﴿ثُمَّ﴾ - عندما ركبوا ليسيروا -: ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: أي نادى مُنادٍ: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾: يعني يا أصحاب هذه القافلة المحمَّلة بالطعام ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

الآية ٧١: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي قال أولاد يعقوب - مُقبلين على المنادِي -: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾؟

الآية ٧٢: ﴿قَالُوا﴾ أي قال المنادِي ومَن معه: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾: أي نفقد المكيال الذي يَكيل المِلك به للناس، ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ﴾: يعني هناك مكافأة لمن يُحضِره، مقدارها ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: أي يأخذ من الطعام ما يستطيع أحد الإبل أن يَحمله، ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ يعني: وقال المنادي: (وأنا الضامن والمتولي لإعطاء هذه المكافأة لمن يجد المكيال).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية ٧٣: ﴿قَالُوا﴾ أي قال إخوة يوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾: يعني: واللهِ لقد تأكدتم - مِمّا رأيتموه مِنَّا في المرة السابقة - أننا ﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ما جئنا أرض "مصر" من أجل الإفساد فيها وارتكاب المعاصي ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ أي لم نَسرق المكيال كما أننا لم نَسرق متاع أحد مِن قبل.

الآية ٧٤: ﴿قَالُوا﴾ أي قال المكَلَّفون بالبحث عن المكيال - لإخوة يوسف -: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: يعني ما هي عقوبة السارق عندكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: (لسنا بسارقين؟).

الآية ٧٥، والآية ٧٦: ﴿قَالُوا﴾ أي قال إخوة يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي جزاء السارق في شريعتنا: أنه ﴿مَنْ وُجِدَ﴾ المكيال ﴿فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي يُسَلَّم السارق إلى مَن سَرَق منه، حتى يكونَ عبدًا عنده، و﴿كَذَلِكَ﴾: أي بِمثل هذا الجزاء - وهو أن يُعامَل السارق معاملة العبيد - ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي السارقين، (واعلم أنّ معنى قوله تعالى: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي فنفسه هي جزاء سرقته، بأن تُستَعبَد).

♦ فرجع المنادِي ومعه إخوة يوسف، فقام يوسف بتفتيش أمتعتهم بنفسه ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾؛ وذلك إحكامًا لِمَا دَبَّره، حتى يَستبقي أخيه معه ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾، ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: أي كذلك يَسَّرنا ليوسف هذا التدبير الذي توصَّل به لأخذ أخيه، و﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: أي ما كان يستطيع أن يأخذ أخاه عن طريق الاحتكام إلى مَلِك مصر - لأنه ليس من شريعة الملك أن يَتملَّك السارق، ولكنه كان يَضرب السارق ويُغَرِّمه بِمثل ما سَرَق - ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: يعني إلا أنّ مَشيئةَ اللهِ قد اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف، فحَكموا بأخْذ السارق ومعاملته كَعَبد.

♦ وكما رفعنا مَنزلة يوسف: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾: أي نرفع مَنازل مَن نشاءُ مِن عبادنا، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: وفوقَ كل صاحب عِلمٍ مَن هو أعلم منه، حتى يَنتهي العِلم إلى اللهِ تعالى عالم الغيب والشهادة.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤. الربع الرابع من سورة يوسف

الآية ٧٧: ﴿قَالُوا﴾ أي قال إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾: يعني إنْ كانَ "بنيامين" قد سرق مكيال الملك، فلا عَجَبَ في ذلك ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (يَقصدون بذلك يوسف عليه السلام أيامَ صِغَرِه، فقد قيل - واللهُ أعلم - إنه سَرَقَ صنماً لأبي أُمِّه فكسره حتى لا يَعبده)، فإنْ كانَ ذلك قد حدث، فهذه ليست سرقة، بل هو نَهيٌ عن شِركٍ باللهِ تعالى، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: أي كَتَمَ يوسف في نفسه هذه التهمة وكظم غيظه، و﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾: يعني أنتم أسوأُ مَنزلةً مِمّن اتهمتموه - كذباً - بالسرقة، حيثُ دَبَّرتم لي ما كانَ منكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي بحقيقة ما تَذكرون.

الآية ٧٨: ﴿قَالُوا﴾ - مُستعطِفينَ يوسف لِيُوفوا بعهد أبيهم -: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾: يعني إنّ له والدًا كبيرًا في السن، يُحبه ولا يطيق بُعده ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في معاملتك لنا ولغيرنا.

الآية ٧٩: ﴿قَالَ﴾ لهم يوسف: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾: أي نعوذ باللهِ أن نأخذ أحدًا غير الذي وجدنا المكيال عنده، ﴿إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ إنْ فَعَلنا لكم ما تطلبون.

الآية ٨٠: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ﴾: يعني عندما يَئِسوا من إجابة يوسف لِطَلَبهم: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾: أي انفرَدوا عن الناس، وأخذوا يَتشاورونَ فيما بينهم، فـ ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي أخذ عليكم العهد المؤكد بأنكم لَتَرُدُّنَّ إليه أخاكم إلا أن تَهلكوا جميعاً، ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ يعني: ومِن قبل هذا كان تقصيركم في يوسف وغَدْركم به؛ لذلك ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: أي لن أفارق أرض "مصر" ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في مُفارقتها، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: يعني أو يَقضي لي ربي بالخروج منها، وأتمكَّن مِن أَخْذِ أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي: واللهُ تعالى هو أعدل مَن حَكَمَ بين الناس.

الآية ٨١، والآية ٨٢، والآية ٨٣: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا﴾ له: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ﴾ "بنيامين" قد ﴿سَرَقَ﴾ ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي: ما شَهِدْنا بذلك إلا بَعد أن تأكدنا، فقد رأينا المكيال في مَتاعه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: لم يكن عندنا عِلمٌ مِن الغيب بأنه سيَسرق حينَ عاهدناكَ على رَدِّهِ إليك، ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ أي اسأل أهل "مصر" ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: واسأل أيضاً مَن كان معنا في القافلة التي كنا فيها ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك به.

♦ ولما رجعوا إلى بلدهم، وأخبروا أباهم بما حدث: ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ يعني: بل زَيَّنَت لكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء مَكِيدة دَبَّرتموها، كما فعلتم مِن قبل مع يوسف، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فصَبْري صَبْرٌ جميل لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَسَخُّطَ فيه ولا شكوى معه لأحدٍ من الخَلق، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: أي عسى اللهُ أن يَرُدَّ إليَّ أبنائي الثلاثة - يوسف وبنيامين وأخوهم الكبير (المتخلف من أجل أخيه) - ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وقضائه.

الآية ٨٤: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أي أعرض يعقوب عنهم، وقد ضاقَ صَدْرُهُ بما قالوه، ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى﴾ أي ياحزني ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ أي ذَهَبَ سَوادهما، (وهو دليلٌ على ذهاب بَصَرِه بما أصابَ عينيه من البياض) ﴿مِنَ﴾ شدة ﴿الْحُزْنِ﴾ ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مملوء بالغَمّ والكَرب، ولكنه لا يُظهر كَربه لأحدٍ إلا لله.

الآية ٨٥: ﴿قَالُوا﴾ أي قال له أبناؤه: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي: واللهِ ما تزال تتذكر يوسف، ويَشتدُّ حزنك عليه ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: أي حتى تُشْرِف على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: يعني أو تَهلَكَ فِعلاً، فخَفِف عن نفسك.

الآية ٨٦، والآية ٨٧: ﴿قَالَ﴾ يعقوب مُجيبًا لهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ أي هَمِّي ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحده، فهو كاشف الضرِّ والبلاء، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي أعلم مِن رحمة اللهِ وفرجه ما لا تعلمونه.

♦ واعلم أنّ الشكوى إلى اللهِ تعالى لا تُعارِض الصبر الجميل الذي وَعَدَ به يعقوب عليه السلام، لأنه لم يَشتكِ لأحدٍ من الخَلق.

♦ ثم قال يعقوب لأبنائه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا﴾ أي عودوا إلى "مصر" ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: أي التمسوا وتَتَبّعوا أخبار يوسف وأخيه، ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: أي لا تَقطعوا رجاءكم مِن رحمة الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾: يعني إنه لا يَقطع الرجاء من رحمة اللهِ إلا الجاحدونَ لقدرته وسعة رحمته.

الآية ٨٨، والآية ٨٩: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ أي على يوسف، ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أي أصابنا وأهلنا القحط والجفاف، ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾: أي جئناك بثَمَنٍ قليل (وهي دراهم معدودة)، ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾: يعني أعطِنا بها ما كنتَ تعطينا مِن قبل بالثمن الجيد، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بالتغاضي عن قلة هذه الدراهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي يُثيب المتفضّلين بأموالهم على أهل الفقر والحاجة.

♦ فلمَّا سمع قولهم، رَقَّ لهم، وعَرَّفهم بنفسه، فـ ﴿قَالَ﴾: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾: يعني هل تَذكُرون ما فعلتموه بيوسف وأخيه من الأذى، في حال جَهْلكم بعاقبة ما تفعلون؟

الآية ٩٠: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾؟ ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾، ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: أي قد تفضَّل اللهُ علينا، فجَمَعَ بيننا بعد الفُرقة، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ اللهَ تعالى، ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على المِحَن: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي لا يُذهِب ثوابَ إحسانه وصَبره، وإنما يَجزيه أحسن الجزاء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية ٩١: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: واللهِ لقد فَضَّلك اللهُ علينا وأعزَّك بالعِلم والحِلم والفضل، ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ أي: ولقد كنا خاطئينَ بما فعلناه - عَمدًا - بك وبأخيك.

الآية ٩٢، والآية ٩٣: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي لا تأنيبَ عليكم اليوم ولا لَومَ ولا عتاب، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ لمن تابَ مِن ذنبه وندم على ما فعل.

♦ وهذا يُعَلِّمُنا العفو عَمّن أساءَ إلينا بمجرد أن يَعتذر، فعلى الرغم مِمّا فَعَله إخوته به إلا إنهم بمجرد أن اعتذروا إليه - واعترفوا بخطئهم، وكَسَروا كبريائهم - عَفا عنهم ولم يُعاتبهم، (فالسعيدُ حقاً هو مَن يُسامح عن كل ما كانَ في حَقِّهِ من أجل الجنة).

♦ ولما سألهم عن أبيه، أخبَروه بذهاب بصره من البكاء عليه، فقال لهم: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾: أي عودوا إلى أبيكم ومعكم قميصي هذا ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ أي يَعُدْ إليه بصره، ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ثم أحضِروا إليَّ جميع أهلكم.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥. الربع الأخير من سورة يوسف

الآية ٩٤: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ يعني: ولما خرجتْ القافلة من أرض "مصر" ومعهم قميص يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ للحاضرينَ عنده: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أي أشم رائحته (لأنّ الريح حَمَلَتها إليه بأمر اللهِ تعالى لها)، ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ يعني: ولولا أنكم ستَسخرون مِنّي وتزعمون أنّ هذا الكلام قد صَدَرَ مِنّي مِن غير شعور، لَصَدَّقتموني فيما أقول، فإني أَجِدُ رائحته.

الآية ٩٥: ﴿قَالُوا﴾ أي قال الحاضرونَ عنده: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ يعني إنك لا تزال في خطئك القديم مِن الإفراط في حُبّ يوسف وعدم نسيانه.

الآية ٩٦: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾: يعني عندما جاءَ مَن يُبشّره بأنّ يوسف حيٌّ، ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ أي عادَ مُبصرًا، وعَمَّهُ السرور، فـ ﴿قَالَ﴾ لمن عنده: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي أعلم مِن لُطف اللهِ وحُسن تدبيره ورحمته وكرمه ما لا تعلمونه أنتم؟

الآية ٩٧: ﴿قَالُوا﴾ أي قال أبناؤه: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي اسأل اللهَ أن يعفو عنا ويَستر علينا ذنوبنا، ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ فيما فعلناه بيوسف وشقيقه، وفي الضرر والحُزن الذي حدث لك طوال هذه المدة.

الآية ٩٨، والآية ٩٩: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: أي سوف أسأل ربي أن يَغفر لكم ذنوبكم ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب عباده التائبين، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، حيثُ وَفقهم للتوبة وقَبِلها منهم.

♦ وقد قيلَ إنّ يعقوب عليه السلام قد أجَّلَ الاستغفار لأبنائه – عندما قال لهم: (سوف أستغفر لكم ربي) – إلى ساعةٍ من ساعات إجابة الدعاء، كآخر الليل (وهو وقت السَحَر) أو يوم الجمعة، واللهُ أعلم.

♦ ثم خرج يعقوب وأهله إلى "مصر" ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي ضَمَّ يوسف إليه أباه وأُمَّه، ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي بمشيئة اللهِ وتقديره وإذنه، ﴿آمِنِينَ﴾ من التعب والجوع، ومِن كل مكروه.

الآية ١٠٠، والآية ١٠١: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾: أي أجْلَسَ أباه وأُمَّه على عرش مُلكه بجانبه (إكرامًا لهما)، ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾: أي حَيَّاهُ أبواه وإخوته – الأحد عشر – بالسجود له (سجود تحيةٍ وتكريم، وليس سجود عبادةٍ وخضوع)، وقد كان ذلك جائزًا في شريعتهم، ولكنه حُرِّمَ في شريعتنا؛ إغلاقاً لباب الشرك باللهِ تعالى.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هذا السجود هو تفسير رؤياي التي قَصَصْتُها عليك مِن قبل في صِغَري، ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ أي صِدقًا، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: أي قد تفضَّلَ اللهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليَّ حين أخرجني من السجن ﴿وَجَاءَ بِكُمْ﴾ إليَّ ﴿مِنَ الْبَدْوِ﴾ أي من البادية (وهي هنا: صحراء الشام)، وذلك ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: أي مِن بعد أن أفسد الشيطان رابطة الأُخُوّة بيني وبين إخوتي، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ في تدبيره ﴿لِمَا يَشَاءُ﴾ أي لمن يشاءُ من عباده (كما لَطَفَ بي)، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمصالح عباده، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله.

♦ ويُلاحَظ أنّ يوسف عليه السلام قد جعل نفسه طَرَفاً في القضية عندما قال: (نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي)، وذلك حتى لا يُحرج إخوته أمام الناس، فما أروع هذا الأدب الراقي!

♦ ثم دعا يوسف ربه قائلاً: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾: أي أعطيتَني مِن مُلك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: أي علَّمتني من تفسير الرؤى وغير ذلك من العلم، ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ﴾ أي يا خالق السماوات ﴿وَالْأَرْضِ﴾ ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾: يعني أنت مُتولي جميع شؤوني ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: فكذلك كُن مُتولي أمْري في الآخرة بإنجائي من النار وإدخالي الجنة، ﴿تَوَفَّنِي﴾ إليك ﴿مُسْلِمًا﴾ (وفي هذا دليل على أنّ دينَ اللهِ واحد - في كل زمان - وهو الإسلام، الذي هو الاستسلام والانقياد والخضوع التام لأوامر اللهِ تعالى، ولكنّ الشرائع هي التي تختلف)، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ - من الأنبياء والأبرار - في أعلى درجات الجنة.

الآية ١٠٢: ﴿ذَلِكَ﴾ أي المذكور من قصة يوسف عليه السلام هو ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: أي ما كنتَ حاضرًا مع إخوة يوسف حين دَبَّروا أمْرَ إلقاءه في البئر، وحينَ كذبوا على أبيهم (وهذا يَدُلّ على صِدقك، وعلى أنّ اللهَ يُوحِي إليك).

الآية ١٠٣، والآية ١٠٤: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما أكثرُ الناس بمُصدِّقيك - أيها الرسول - ولو حَرَصْتَ على إيمانهم، وذلك لأنّ الانقياد للحق يتعارض مع انقيادهم لشهواتهم وأغراضهم الدنيوية الرخيصة (إذاً فلا تَحزن عليهم، لأنه ما عليك إلا البلاغ)، ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني: إنك لم تَطلب منهم أجْراً على إرشادهم للإيمان - حتى لا يكون ذلك سبباً في إعراضهم عن دَعْوَتِك - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: ما الذي أُرسِلتَ به - مِن القرآن والهُدى - إلا مَوعظة وذِكرَى للناس أجمعين، فبالتفكر فيه يَهتدون إلى الحق، وباتّباعه يَسعدون في الدنيا والآخرة.

الآية ١٠٥: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ﴾ يعني: وكثير من الدلائل - على وحدانية اللهِ وقدرته - مُنتشرة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كالشمس والقمر والجبال والأشجار، ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ أي يُشاهدها المشركون ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتفكرون فيها، ولا يَعتبرون بأنّ المتفرّد بالخَلق - سبحانه وتعالى - يَجب إفرادُهُ أيضاً بالعبادة.

الآية ١٠٦، والآية ١٠٧: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: ما يُقِرُّ هؤلاء المشركون بأنّ اللهَ تعالى هو خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به في عبادتهم للأصنام وغيرها، وكذلك يُشركون به في ذَبْحهم ونَذْرهم وغير ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أنواع العبادات، ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ يعني: فهل عند هؤلاء المشركين ما يَجعلهم مطمئنين مِن أنّ اللهَ تعالى لن يُنزِّل عليهم عذاباً مِن عنده يُهلكهم جميعاً؟، ﴿أَوْ﴾ هل أمِنُوا - أيضاً - أن ﴿تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: يعني أن تأتيهم القيامة فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؟!

الآية ١٠٨: ﴿قُلْ﴾ - أيها الرسول لهؤلاء المشركين -: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾: أي هذه طريقتي، وهي أنني ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: أي أدعو إلى عبادة اللهِ وحده ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: أي على حُجَّةٍ واضحةٍ من اللهِ تعالى - وهو هذا القرآن الذي أنزل الله فيه الأدلة والبراهين وتحدَّى به المشركين - وعلى عِلمٍ ويقين من شريعة ربي ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ من المؤمنين، كُلُّنا ندعو إلى اللهِ على بصيرة، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: وأُنَزِّهُ اللهَ تعالى عن الشركاء، وأقول لكم - مُعلِناً براءتي من الشِرك - : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

الآية ١٠٩، والآية ١١٠: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ - إلى الناس - ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ أي بَشراً مِن جِنسهم (وهذا إبطالٌ لإنكارهم أن يكون الرسول رجلاً من الناس)، وهؤلاء الرُسُل ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: أي نُنَزِّل عليهم وَحْيَنا، ونَختارهم ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: أي مِن أهل المدُن - وليس من أهل البادية (الصحراء) - وذلك لأنّ أهل المدُن هم أقدَرُ الناس على فَهم الرسالة وتبليغها، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ - أي هؤلاء المكذبون بالعذاب -، ألم يَمشوا ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من المكذبين وما نَزَلَ بهم من الهلاك؟، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: ولَنعيم الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ربهم، ففعلوا أوامره واجتنبوا معاصيه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: يعني أفلا تتفكرون بعقولكم - أيها المشركون - في هذا القرآن الذي يُتلى عليكم - وفيما تشاهدونه من الآيات الكونية - فتؤمنوا بقدرة اللهِ على البعث وتُوَحِّدُوه في عبادته؟

♦ ولا تستعجل أيها الرسول النصر على المكذبين، فإنّ الرُسُل الذين مِن قبلك كان يَتأخر عليهم النصر - اختباراً لإيمان أتْباعهم وتَخليصاً لهم من المنافقين - ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾: أي حتى إذا يَئِسَ الرُسُل من إجابة قومهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾: أي وأيقنوا أنّ قومهم قد كَذَّبوهم وأنه لا أمَلَ في إيمانهم: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ عند شدة الكَرب، ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾: أي فنُنجي الرُسُل وأتْباعهم - كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ -﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أي عذابنا الشديد ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين تجرَّأوا على اللهِ تعالى وكذَّبوا رسله (وفي هذا تصبير للنبي ﷺ على إيذاء قومه له).

الآية ١١١: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾: أي لقد كان في قصص المرسَلين - والعذاب الذي نزل بالمكذبين - ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي لأهل العقول السليمة، ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: أي ما كان هذا القرآن حديثًا مَكذوبًا (لأنه لا يَقدِرُ أحدٌ من الخَلق أن يأتي بمِثله، فهو الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، ﴿وَلَكِنْ﴾ اللهُ تعالى أنزله رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على العباد أجمعين، وجَعَله ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي جَعَله مُوافقاً للكتب التي أنزلها على أنبيائه (مُصَدِّقًا لِمَا فيها مِن صِحَّة، ومُبَيِّنًا لِمَا فيها من تحريف) ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي وبَيانًا لكل ما يَحتاج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إليه العباد مِن تحليلٍ وتحريم، وغير ذلك من الإخبارات الصادقة، ﴿وَهُدًى﴾: أي إرشادًا من الضلال ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي ورحمة لأهل الإيمان به، فتَهتدي به قلوبهم، ويَسعدون - بتلاوته والعمل به - في الدنيا والآخرة.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

سلسلة كيف نفهم القرآن؟ ١
(تفسير سورة يوسف كاملة) ٢
١. الربع الأول من سورة يوسف ٢
٢. الربع الثاني من سورة يوسف ٧
٣. الربع الثالث من سورة يوسف ١٣
٤. الربع الرابع من سورة يوسف ١٨
٥. الربع الأخير من سورة يوسف ٢١